العرب
الخميس 2020/04/02
السنة 42 العدد 11665

العراقيون يستحقون دولة تليق بهم

د. ماجد السامرائي
كاتب عراقي

كثير من المشككين بأصالة العراقيين يعتقدون بأنهم في قبولهم بجوقة السياسيين الممثلين للأغراب وانتخابهم لهم حتى ولو بنسبة ضئيلة، فإنما يعبرون عن عقدة مركبة تحكمت بقضية الولاء للحاكم والمظاهر الدراماتيكية في تعاملهم معه منذ تأسيس الدولة العراقية، حين انصاعوا للزعامات الشيعية التي أفتت بمقاطعة الدولة وملكها فيصل الأول، ثم تنفيذهم لثنائية المزج ما بين نقيضي التطرف؛ الإعجاب والتمرد، منذ عام 1958 وحتى عام 2003.

أبرز أمثلة الرضوخ للحاكم تمثلت في التصفيق والتظاهر المليوني لصدام حسين، في حين قابلتها هيستيريا الرفض لدرجة سحل رئيس الوزراء نوري السعيد في شوارع بغداد، ما وفر الفرص لتصعيد القناعات المغرضة بدموية الشعب العراقي وعنفه.

كان على السياسيين الشيعة منذ تسلمهم السلطة من الأميركان، الذين يحاربونهم اليوم، الاستماع إلى نصائح دهاة التزوير ووعاظ نظرية المؤامرة في طهران لكي يجعلوا من مسلسل خداع الناس مادة تعينهم على الاستمرار في الحكم، رغم انكشاف هذه اللعبة في السنوات الأخيرة من خلال انتفاضة أكتوبر الشبابية 2019.

العراقيون لا تهمهم هوية المنقذ، بقدر ما تهمهم تصفية النفوذ الإيراني ودعم انتفاضة العراقيين، وهم يستحقون دولة مدنية تعيد استقلالهم المنتهك من قبل الحرس الثوري ونظامه الفوضوي

أبرز نصيحة إيرانية لهؤلاء الجهلة في إدارة السلطة كانت في استثمار الصيغة الجماعية وتداول السلطة التي جلبتها لهم ديمقراطية الأميركان في إنهاء دور الزعيم السياسي الفرد في إدارة النظام، لكي يبعدوا مخاطر التمرّد عليه مثلما حصل في تاريخ العراق القريب، ولاستمرار التماهي في الولاء العقائدي لولي الفقيه الحاكم في طهران رغم أنه أجنبي وفق سياقات الدول وسياداتها. وحين نمت نزعة الزعامة الفردية لنوري المالكي في الولاية الثانية من حكمه بين 2010 و2014 تمت إزاحته.

هذه الدعاوى المشككة بتجانس العراقيين وقدرتهم على تحقيق الاستقلال والسيادة تعمدت تجاهل حقائق التاريخ الحديث للعراقيين في رفضهم للاحتلالين الإنجليزي والأميركي، في مثال ثورة العشرين التي شوّهت عراقيتها بالهوية الطائفية حيث يعتبرها رواد التفكيك الاجتماعي اليوم بأنها ثورة "شيعية"، في حين أكدت الوقائع أنها ثورة العشائر العربية والكردية، ومثال ذلك قتل القائد الإنجليزي جيرارد إفيلين ليتشمان من قبل الشيخ ضاري بن محمود قرب الفلوجة، وكذلك مثال المقاومة العراقية المسلحة ضد الاحتلال الأميركي بين 2003 و2011 التي صادرتها بعض القيادات الشيعية لنفسها.

تاريخياً لم تميّز الدولة العراقية في قياداتها بين شيعي وسني وعربي أو كردي، فقد ظلت ماكينة هذه الدولة وخلاياها الحية تنتج قادة ومسؤولين لمعت أسماؤهم في تاريخ الحكم العراقي حتى عام 2003 تحت عنوان الكفاءة وليس الدين أو المذهب أو القومية. كان أول وزير مالية عراقي هو نابغة يهودي اسمه ساسون حسقيل، فيما كان جعفر العسكري أول وزير دفاع عراقي جمع بين العسكرتاريا والسياسة وهو كردي، ومحمد فاضل الجمالي شيعي تولى رئاسة الوزارة والخارجية قبل عام 1958 وكان من مؤسسي منظمة الأمم المتحدة، وتعتز الدولة العراقية بأروع النماذج لقادة متميزين في العصر الحديث حيث كانت الكفاءة والمقدرة هي المقياس وليس الانتماء الطائفي.

كان انهيار الدولة بعد الاحتلال الأميركي عام 2003 صعقة مدوّية. وقد صدّق العراقيون في الأيام الأولى شعارات الأميركان ومروجيها من الزعماء الشيعة بادعاءات كاذبة بأن الحكم الجديد سينهي الحكم الاستبدادي بديمقراطية تشيع الرفاه بين العراقيين، لكن مسيرة السبعة عشر عاما كشفت حقيقة عدم السماح ببناء دولة عراقية جديدة، ومحو جميع مرتكزاتها ببديل اللادولة عبر تحالف القيادات الحزبية للإسلام السياسي الشيعي والميليشيات. ودخلت البلاد في دهليز ظلامي أقسى من الاحتلالات عبر العصور، عبر تدمير ما تبقى من مظاهر الدولة، ونهب الموارد المالية بأساليب لم تتقنها المافيات الدولية من قبل، وتركوا العراقيين جياعاً تكشف عن أحوالهم المزرية أمثلة موجعة آخرها محنة كورونا.

مشروع النفوذ الإيراني في العراق يعتمد على استمرار حالة اللادولة وتدعيمها، ومنع أية فرصة لقيام دولة مستقلة حديثة بمواصفات عصرية مدنية قادرة على أداء واجباتها تجاه شعبها، وقمع مروجي مشروع الدولة الوطنية من أي جهة عراقية سواء أكانوا شيعة أو سنة أو أكراد، ولذلك فإن مهرجانات لعبة الانتقال الدوري لرأس الحكومة تعتمد على تكريس اللادولة واستمرار شراكة المحاصصة التي انتقلت إلى داخل البيت الشيعي بعد الانهيارات التي أصابت أطرافه، ولعل التطور الأخير الذي حصل في انتفاضة الشباب هو اعتراض معطل ولو بدرجة ضعيفة لمسيرة استكمال مشروع اللادولة المرتبط بإيران، ولهذا يتم قمعها.

هاجس القوى الشيعية هو الخوف من انتفاضة شعبية ثورية تطيح بالنظام القائم. ولهذا كانوا سعداء بأن انتفاضة أكتوبر اتسمت بالطابع السلمي غير الاقتحامي لعروشهم المهزوزة، وتعيد هذه الحقيقة للأذهان مناورات مقتدى الصدر في اقتحام المنطقة الخضراء عام 2017 حيث كانت مقلقة لهم باحتمالات جدّيتها وتحقيقها هدف إزاحتهم عن السلطة، لكن الصدر استدار لأسباب تبدو مجهولة ظاهرياً، لكنها في الواقع كانت تداركاً عاجلاً منصوحاً به من طهران باحتمالات ضياع حكم الشيعة.

رغم الصورة المتشائمة لحالة العراق تحت الوصاية الإيرانية، إلا أن عوامل الرفض قد نضجت خلال شهور قليلة وتسللت إلى داخل المنظومات السياسية الشيعية رغم محاولات الدفع لإخراجها عبر دعوات التكاتف للقوى الشيعية، لكن الزمن لا يعود إلى الوراء، ومحاولات إدخال المنهج السياسي المعتدل في رئاسة الحكومة رغم أنه مسموح به إيرانياً إذا لم يتجاوز الخطوط الحمراء، لكنه غير قادر على طرد النفوذ الإيراني وإعادة استقلال العراق وسيادته، فهذه المهمة من الناحية الجيوسياسية تحتاج إلى قوة خارجية أياً كان مصدرها. فالعراقيون اليوم لا تهمهم هوية المنقذ، بقدر ما تهمهم تصفية النفوذ الإيراني ميدانياً ودعم انتفاضة العراقيين وهزيمته، وهم يستحقون دولة مدنية تدير شؤونهم وتعيد استقلالهم المنتهك من قبل الحرس الثوري ونظامه الفوضوي.

مسرحية قطر.. بلا ستار

عبدالرحمن الطريري
كاتب سعودي

تقدم عبدالملك الحوثي قائد ميليشيا الحوثيين بعرض للمملكة العربية السعودية، بإطلاق أسيرين سعوديين مقابل إطلاق المملكة أسرى ينتمون لحركة حماس كما يدعي، وهي خطوة مستغربة، حيث جرت العادة أن يكون تبادل الأسرى أو رفات الموتى بين الطرفين مباشرة.

وهنا يأتي السؤال لماذا شعر الحوثي بأن إطلاق سراح أشخاص من حماس أهم من عناصر حركته الحوثية؟ ولماذا أصبحت القضية الفلسطينية ملحة لديه، كما يزعم في خطابه المرافق لهذا العرض، وهو الذي قام بتسهيل خروج يهود يمنيين من صعدة إلى تل أبيب، دون أي اعتبار للصرخة "الموت لأميركا.. الموت لإسرائيل"؟

إذا عدنا إلى هذه الحادثة نجد أن يهودا يمنيين من صعدة غادروا في العام 2015 عبر طائرة للخطوط القطرية، توقفت في الدوحة قبل أن تتجه إلى إسرائيل، ولا عجب ففي هذا العالم العربي لا توجد دولة تتغنى بالفضائل، وتتهم خصومها بصفقة القرن، وهي أوثق الدول علاقة بإسرائيل، إلا قطر حمد بن خليفة.

تنتقل إلى قناة الجزيرة، فترى عرضا باهتا، عدة أشخاص يحملون لافتات تطلب من المملكة إطلاق سراح مجرمين من حماس، لا تظهر على وجوههم أي علامة من علامات الحزن، كل ما يظهر أنهم ينتظرون انتهاء المشهد مدفوع الأجر، وتنظر إلى الشريط الإخباري فلا تجد إلا عدد مصابي كورونا في دولة الإمارات. هذا الحقد يمنع الدوحة من ذكر مصابي كورونا في إسرائيل وإيران وتركيا. حتى جائحة كورونا لم تستطع أن تمنح نظام قطر بعض الحياء، أما الحوثيون فقد هاجموا السعودية بصواريخ على الرياض وجيزان، وقبلها تم إطلاق طائرات مسيّرة على جنوب المملكة. أين هذا من صفقة تبادل الأسرى، أو من تهدئة دعا لها الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش، واستجاب لها التحالف العربي؟

ويتضح أولا أن قطر حاضرة في المشهد، عبر محاولتها الزج بحركة حماس في المشهد اليمني، وهي التي استضافت رئيس الموساد، يوسي كوهين، مطلع شهر فبراير الماضي، والذي طلب الاستمرار في تمويل حماس حتى بعد نهاية مارس، واستمرار الاستثمار في شق الصف الفلسطيني.

وكشف وزير الدفاع السابق ورئيس حزب "إسرائيل بيتنا"، أفيغدور ليبرمان، في حديث للقناة الإسرائيلية 12، أن رئيس الوزراء أوفد رئيس الموساد إلى قطر لمواصلة دعم حماس، والتقى الوفد بمحمد المسند رئيس الاستخبارات القطرية وبمستشار أمير قطر للأمن الوطني.

وقد غرد الصحافي الإسرائيلي أتاي بلومنتال عن مسار طائرة خاصة خرجت من الدوحة، لتحط لفترة وجيزة في قبرص، قبل أن تنطلق منها إلى تل أبيب، وكانت الطائرة لم تمكث لفترة طويلة في الدوحة، وعلق على ذلك قائلا "كم تحتاج من الوقت لتحمل حقائب ملآى بملايين الدولارات".

ويبدو أن حماس سألت عن ثمن هذا الدعم، فكان الربط بالمشهد اليمني هو الفكرة التي حضرت، لكن من جانب آخر يبدو المشهد الحوثي مضطربا، فلماذا يُقدم الحوثي على تصعيد عسكري مع السعودية، في وقت يعيش فيه العالم حالة ترقب لنتائج انتشار فايروس كورونا، وهو الذي خاض تجربة لم تكن ناجحة مع الكوليرا؟ وهنا يبدو تأثير الذهنية الإيرانية، التي رأت في كورونا فرصة لتحريك الملف اليمني، للتقليل من الزخم الذي حققته الرياض بموقفها المسؤول في عقد قمة افتراضية لدول العشرين، والتي تلتها عدة انفراجات منها اتصال بين الرئيسين الأميركي والصيني. طهران ترى في الأزمات فرصة للعبث لا فترة سانحة للسكون، رغم أنها تشهد عشرات الآلاف من المصابين المعلنين، ولا يشك أحد في أن إيران تخفي الكثير من أرقام المصابين، ولكن عبثية إيران تؤكد دائما مقدار وهنها.

قطر شاركت في يوم المسرح العالمي بمسرحية هزيلة، أجمل ما فيها أنها كشفت علاقتها الأزلية بجماعة الحوثيين منذ العام 2004، والتي توقفت جزئيا لبعض الوقت ثم عادت لحميميتها

تستمر إيران عبر الحوثيين في بث الرسائل المتناقضة، حيث تعودنا أن نسمع روايات متناقضة من طهران حول حرصها على أمن دول الجوار، ولكن لا أحد يتدخل في دول الجوار سواها، ثم الادعاء بأن العقوبات الأميركية هي ما يمنع طهران من التصدي لكورونا، ثم فضحها حديث للرئيس حسن روحاني بثه وزير الخارجية الأميركي مايك بومبيو، يقول إن النظام الإيراني يريد الأموال من أجل قياداته لا من أجل التصدي لكورونا. فقد خرجت وول ستريت جورنال بعنوان غير دقيق حول دعوة سفير المملكة إلى اليمن، محمد سعيد آل جابر، للحوثيين إلى الرياض لإجراء محادثات، ما أوحى بأن الطلب تلا الهجمات الفاشلة على الرياض وجيزان، والذي استدعى ردا من التحالف باستهداف عدة مواقع في صنعاء.

وفي هذا تزييف للحقيقة والتي مفادها أن المملكة رحبت بدعوة غوتيريش للتهدئة قبل الهجمات الأخيرة، ضمن دعوات الأمين العام لوقف المعارك في كل مناطق النزاعات للتصدي لجائحة كورونا. ولكن الحوثيين لم تمنعهم الكوليرا سابقا، بل كانت الميليشيات تسرق الأدوية المقدمة من المنظمات، ولا يمكن تصور أن كورونا يمكن أن تردعها اليوم.

ويعرف عن السعودية أنها ترحب دائما بالحلول السياسية، وقد كانت عرابة المبادرة الخليجية في العام 2011، وحاولت تجنيب اليمن حمام الدم السوري والليبي، ثم باركت اتفاق السلم والشراكة الذي جاء به الحوثيون بعد دخول صنعاء في العام 2014، لكن الحوثي لم يعتبر الاتفاقات السياسية إلا شراء للوقت، وهذا ما جرى في كل الاتفاقات وصولا لاتفاق ستوكهولم.

الموقف القطري في اليمن توجزه تغريدة وزير الإعلام اليمني الذي قال "ندعو قطر وقناة الجزيرة التي أصبح موقفها واضحا في التماهي مع المشروع الإيراني باليمن وأداته الحوثية التي ارتمت، بدورها، في أحضان الدوحة للحصول على الدعم السياسي والإعلامي، لمراجعة سياساتها والنأي بنفسها عن مستنقع الدم اليمني الذي يوغل فيه ملالي إيران..".

أما قطر فقد شاركت في يوم المسرح العالمي بمسرحية هزيلة، أجمل ما فيها أنها كشفت علاقتها الأزلية بجماعة الحوثيين منذ العام 2004، والتي توقفت جزئيا لبعض الوقت ثم عادت لحميميتها.

السعودية: لا تراجع عن مواصلة التغيير

عمر علي البدوي
صحافي سعودي

تزامُن لا يبعث على الحيرة، تتخذه كل من طهران وأنقرة والدوحة ضد السعودية لإعاقة خطواتها التي تنمو وتتعمق نحو التغيير والإصلاح، وتحسين واقعها السياسي والاجتماعي والاستراتيجي للوفاء بتحديات المرحلة وشروط النجاح فيها.

عندما عجزت كل محاولات التشويش التي اتخذتها تركيا لتثبيط عزيمة الرياض في مزاحمتها على المنصة الإقليمية، لاسيما وأن الفشل الفادح الذي تكبّدته في قمة كوالالمبور وخسارة رهان استقطاب أضواء الزعامة الإسلامية إليها، أعادت إحياء ملف الصحافي جمال خاشقجي في الوقت الذي كانت تتحضر فيه الرياض لعقد قمة استثنائية لمجموعة العشرين عبر الواقع الافتراضي لتطويق جائحة كورونا التي تهدد العالم.

تبدّدت المحاولة للتشويش وآلت للفشل وانعقدت القمة التي انصبت على تجهيز العالم لمواجهة الوباء وزيادة فعالية التفاهم الدولي عبر منصة مجموعة العشرين التي ترأسها السعودية في دورتها الحالية، وغصّت أنقرة بالطعم التي سعت لإلقائه في وجه العالم.

وهذا ديدن درجت عليه حكومة قطر منذ انطلاق المقاطعة، وهي تروج لكميات هائلة من الأخبار والدعايات السلبية تنطوي على قدر هائل من التحريض ضد ما تسميه الانفتاح غير المحسوب في السعودية، والتعويل على إثارة الحساسيات السياسية والاجتماعية في الداخل السعودي عبر الحملات الإلكترونية والإعلامية التي تبرع فيها وتسخر لها طاقاتها المتحفزة لوظيفتها الدعائية، لبرمجة المجتمع من خلال الضخ الكثيف والتكراري والمركز على معلومة معينة حتى تترسخ في العقل اللاواعي للمجتمع. ولكن هذا المسار القطري تذروه رياح الثبات على الموقف وثقة الرياض في خطواتها وإجراءاتها الجريئة والقفزات النوعية التي تتبناها في إطار الإصلاح والتغيير.

لقد زادت كمية الاستهداف الإعلامي في الفترة الأخيرة بعد خسارة الدوحة الكثير من رهاناتها على شق الصف وتأليب مجتمعات الرباعي العربي الذي يقف حائط صدّ ضد مخططاتها لاختراق الواقع العربي وتأبيد نفوذ الجماعات الإسلامية المنحسرة.

وقد سجّلت تلك المنصات الممولة قطريا، حالة إفلاس جديد، عبر استضافة معلقين يحملون صفة سياسية لتحليل إجراءات الحكومة السعودية في مواجهة كورونا والتعسف بتقديم تفسيرات شاذة تصب في الاتجاه المغرض الذي تتبناه الدوحة، وبمباركة الهجوم الحوثي الفاشل على المدنيين في السعودية، كتعبير صارخ عمّا سماه وزير الإعلام اليمني معمر الإرياني، بتماهي قطر مع المشروع الإيراني وأداته الحوثية في بلاده.

ورغم أن الدوحة أو أنقرة وطهران لن تستنكف عن شنّ حملاتها التحريضية على المنصات الإعلامية المفتوحة التي مولتها ورعتها لعقود، إلا أن شيئاً من هذه الأعيرة الهوائية لن تغرز أعواد التعثر في دواليب الدأب الذي تتخذه السعودية في الكثير من الملفات التي قطعت فيها أشواطاً كبيرة، مثل الإصلاح الاقتصادي وتعميق أفكار الاعتدال وشؤون المرأة وفرص الانفتاح الرشيد.

يشهد واقع اليوم بالكثير من الثمار المبكرة لخيار التغيير مثل زيادة ديناميكية العمل الحكومي، وحيوية المجتمع بعد تجاوز العوائق الثقافية، وهذا ما يشجع على الاستمرار في النهج والتمسك بالتزام الطريق.